الكلام فى الصدق وأداء الامانة

الدرس الحادي والعشرون

لفضيلة الشيخ سلمان العودة

لقد عُرِّف الصدق بأنه مطابقة النسبة الكلامية للنسبة الواقعية ، كما عُرِّف الكذب بأنّه اختلاف النسبة الكلامية عن النسبة الواقعية ، وتوضيح ذلك ان ما يصح ان يوصف بالصدق والكذب هو الخبر ، لأن الخبر هو الذي تكون فيه الدلالة ، بخلاف الانشاء فإنه لم يُسُقْ للدلالة وانما سيق لإيجاد المعنى ، نضرب مثلا كي يتضح لنا معنى الخبر ومعنى الانشاء ، اذا قال البائع للمشتري بعتك داري أو بعتك سيارتي ، فإنه لا يقصد ان يخبره بأنه قد باع عليه سيارته أو داره فعلا ، وانما يقصد ايجاد حقيقة البيع ، فهذا نسميه إنشاءاً ، لان الكلام قد سبق لايجاد المعنى ، بخلاف لو قال له (لقد بعت سيارتي) اخبارا له ، يخبره بإنه قد باع سيارته أو قوله قد بعت داري ، فهذا لا يقصد به ايجاد حقيقة البيع وانما يقصد الاخبار على ان البيع على السيارة كان قد وقع ..

ان يتصف بالصدق والكذب هو خصوص الخبر ، وان كان الانشاء احيانا قد يوصف بالصدق والكذب باعتبار دلالته الالتزامية لا باعتبار دلالته المطابقية ، مثال ذلك : صاحب المال الكثير الذي يتظاهر بالفقر ويسال الناس ، يقول الناس عنه انه كاذب ، والحال ان السؤال ليس من الإخبار في شيء حتى يوصف بالصدق والكذب ، وانما هو انشاء ولكن تظاهره بالفقر يدل دلالة التزامية على الاخبار عن حالته الواقعية فهو بالدلالة النطقية انشاء بشاهد الحال ، أو بلسان الحال كما يسميه خطباء المنبر الحسيني فيكون خبرا ، فباعتباره خبرا ولو بلسان حاله يصفه الناس بإنه كاذب في سؤاله ، والا كيف يكون كاذبا في سؤاله ؟ فإنّ السؤال اصلاً ، ليس من باب الاخبار حتى يوصف بالصدق والكذب ، أو يقال انه صادق في سؤاله فكيف يكون صادقا في سؤاله فهو ليس خبرا حتى يوصف بالصدق والكذب .. يعني لسان حاله في الدلالة على واقعية حالة صدق ، أو لسان حاله في الدلالة على واقعية حالة كذب ، والا فالصدق والخبر لا يطلقان على الصيغ الانشائية من الكلام ، وانما على الصيغ الاخبارية ، ولكن لما كان معظم الصيغ الانشائية بالدلالة الالتزامية تكون إخبارا عن شيء آخر ،

لذلك يصلح لتلك الدلالة ان توصف بالصدق او الكذب .. فالكلام الخبري له نسبة ، اذا قلنا مثلا : زيد قائم ، أو جاء محمد ، فنحن في الجملة الاولى ننسب القيام الى زيد وفي الجملة الثانية ننسب المجيء الى محمد ، ففي الواقع ان زيداً قائم ، فتكون النسبة الكلامية مطابقة للنسبة الواقعية فنسمي هذا الكلام صادقا .. انه صدق ، ونقول انه خبر صادق تارة اخرى ، ان النسبة الكلامية لا تتطابق مع النسبة الواقعية زيد قاعد أو انا نائم ولم يكن قائما ، فتختلف النسبة الكلامية عن النسبة الواقعية فنسمي الكلام كاذبا لوجود هذا الاختلاف بين النسبة الكلامية والنسبة الواقعية او الخارجية ، ولقد عممت واطلقت لفظ (الواقعية) لغرض يتعلق بالدلالة والا ، فمن ناحية المنطق ومن ناحية علم البلاغة يقال (النسبة الخارجية) ولكن لما كان غرضي من تعريف الصدق والكذب الى ما هو أهم من ذلك ، عبرت بالدلالة الواقعية ، فإن المعنى قد لا يكون خارجيا ولكنه واقعي في عالم آخر غير عالم الخارج .. فإذن الصدق هو مطابقة النسبة الكلامية للنسبة الواقعية ، والكذب هو اختلاف النسبة الكلامية مع النسبة الواقعية ، ولنعمم هذا المبدأ تعميماً اكثراً نقول ان الصدق هو توافق نسبة الدال مع نسبة المدلول ، سواء كان الدال لفظيا أو غير لفظي .. فالدلالة أعم من اللفظ ، فبدل ان نقول دلالة الصدق هو اتفاق النسبة الكلامية مع النسبة الواقعية نقول ان الصدق هو اتفاق نسبة الدال مع نسبة المدلول ، لان الدال قد لا يكون لفظا .. الدلالة أوسع واعم ، ونحن نحتاج الى التعميم لا الى التضييق .. هذا الصدق وهذا الكذب ربما يكون القول كذبا ولا يكون القائل كاذبا .. وربما يكون القول صدقا ولا يكون القائل صادقا .. وبالعكس ربما كان القائل كاذبا وكلامه صدق ، وربما كان القائل صادقا وكلامه كذب .. كيف يكون ذلك ؟

اذا اخبر الانسان عن شيء ما فتارة يكون عن علم بذلك الشيء الا ان المعنى له ثلاث انحاء من الوجود في هذه الحالة : النسبة الذهنية الموجودة في ذهن المتكلم والنسبة الكلامية والنسبة الواقعية ، فتارة تكون هذه النسب ، النسبة الكلامية والنسبة الذهنية والنسبة الخارجية ، كلها متوافقة ، وفي هذه الحالة لا يوجد خلاف في ان يقول احد بأن هذا المتكلم غير صادق أو ان هذا الكلام غير صادق لان النسب الثلاث متطابقة ، وتارة تكون نسبتان متطابقتين ونسبة ثالثة غير متطابقة ، تكون النسبة الذهنية والنسبة الكلامية متطابقتين ولكنهما تختلفان عن النسبة الواقعية او النسبة الخارجية ، ويكون منشأ ذلك ليس قصد المتكلم ايقاع غيره في الوهم وانما لوجود الاشتباه عنده ، كمن يمر على جماعة كثيرة مجتمعة بالقرب من الجامع فيعتقد بأن شخصا قد وقع من أعلى المنارة فذهب يشيع ويذيع بانه قد وقع من منارة المسجد الفلاني في هذا اليوم شخص ، وهو لم يكلف نفسه بالتحقق من صحة الامر أو عدمه ، طبعا خبره كاذب لكن هو لا تطلق عليه صفة كاذب ، انما تطلق عليه صفة (مشتبه) .. هو في قرارة نفسه يعتقد ان ما يقوله غير صحيح ولكن من باب الاتفاق يكون كلامه مطابقا للنسبة الخارجية كمن اراد ان يمدح رجلا لغاية في نفسه فذكر له وصفا يعتقد انه خال منه ولكن من باب الدعاية والترويج يريد ان يمدحه به فتبين ان ذلك الوصف حقيقة موجودة في الموصوف .. هنا هو لم يقصد الدلالة على شيء ، هو في قرارة نفسه يعتقد ان الصفة منتفية وانما قصد ايقاع غيره في الخطا ، فهو كاذب لكن الخبر في حد ذاته ليس كذبا .. الكلام في حد ذاته صدق ولكنه صدر عن كاذب .. وكذلك بالعكس لو اراد انسان مثلا ان يختلق لاحد الناس بسبب عداوة بينهما عيبا ، فاخذ يذيعه ويشيعه ، في قرارة نفسه انه غير موجود لكن من باب الاتفاق ان ذلك العيب كان موجودا فيه ، كذلك هو كاذب وان كان كلامه صدقا .. ويكون الكذب المحض فيما اذا كان يعلم بانتفاء النسبة ومع ذلك يسوق كلامه لنفيها ، فهذا مما لا اشكال فيه ولا يختلف احد في ان الخبر كاذب وان المتكلم كاذب ..

والجاحظ له رأي فريد في هذه القضية ، واعتقد ان الاخوان كلهم سمعوا باسم الجاحظ ، الذي قال فيه الشاعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ... ما كان الا دون قبح الجاحظ

والجاحظ مفكر عظيم وهو عالم كبير وهو من كبار معتزلة بغداد وله آراء خاصة يتفرد بها دون معتزلة البصرة ومما انفرد به الجاحظ نظريته في الصدق والكذب فعنده ان الصدق يجب ان تتساوى فيه النسب الثلاث ، الاعتقادية والقولية والواقعية ، فمتى ما اختلت نسبة من النسب الثلاث فلا يقال للخبر بانه صدق ولا للمتكلم بانه صادق اي يجب ان يكون المخبر معتقدا بثبوت النسبة أو عدم ثبوتها وان يسوق الكلام للدلالة على ثبوت النسبة او عدم ثبوتها حسب مطابقته لاعتقاده ، وان يكون اعتقاده وكلامه مطابقا لما في الخارج فعندئذ نسميه صدقا ونسمي القائل صادقا ومتى ما اختلفت نسبة واحدة من هذه النسب نسميه - اي الكلام - كذبا ونسمي قائله كاذبا ، وان كانت النسبة الكلامية او الدلالية مطابقة للخارج أو الواقع .. ويستشهد الجاحظ بقوله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم : اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) . فهنا حسب تحليل الجاحظ بانه مما لا شك فيه انه محمد رسول الله ﷺ وان النسبة الكلامية مطابقة للنسبة الواقعية ، وانما تخلف ركن واحد وهو ان المتكلمين بهذا الكلام وهم المنافقون لا يعتقدون ان محمدا رسول الله ﷺ فاسماهم الله كاذبين لتخلف الركن الاعتقادي . وقد ذهل الجاحظ عن أمرهم في هذا التحليل وذلك انهم صادقون من جهة وكاذبون من جهة .. صادقون في قولهم انك لرسول الله . كاذبون في شهادتهم . نشهد انك لرسول الله ، والله سبحانه وتعالى كذبهم في الشهادة لا في الخبر ، يعني قولهم «نشهد» هذا خبر للدلالة عن الامر الاعتقادي ، فهذه النسبة الكلامية لم تطابق النسبة الواقعية لان اعتقادهم في الحقيقة هو نفي الرسالة عن محمد ﷺ لا اثبات الرسالة لمحمد ﷺ وقولهم نشهد خبر وهذا الخبر فيه نسبة وهذه النسبة لا تطابق ما أخبر ، لانهم عندما قالوا انك لرسول الله لا يريدون ان يخبروا النبي ﷺ بإنه رسول الله وانما قالوا نشهد انك لرسول الله ، فهم يخبرون عن شهادتهم القلبية ، عن ايمانهم القلبي في حين انهم ليسوا مؤمنين .

فاذن لما كان الغرض من الكلام انه سيق للدلالة على النسبة القلبية، فلم تلحظ فيه النسبة الخارجية فصارت النسبة الواقعية بالنسبة للمدلول هي الاعتقاد القلبي، فتخلف الركن، فاذن الناحية الاعتقادية ليست دخيلة في الصدق والكذب .. نعم لو كان الاخبار عن امر اعتقادي وكان المتكلم لا يعتقد بما اخبر به عن اعتقاده يكون كاذبا، ومن هنا نبع السر في التعليل في قولنا ان الصدق هو مطابقة النسبة في الدال مع النسبة في المدلول، ولم نقل مطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية .. فانه تارة يكون الخبر ليس عن نسبة خارجية وانما عن نسبة قلبية، ويكون العالم الواقع للنسبة الواقعية هو القلب وليس الخارج، فاذن الاخبار عنه اذا طابقه يكون صادقا واذا خالفه يكون كاذبا..

مثال ذلك يقف المصلي فيقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا، والحال انه يفكر في الفسق يفكر ان يزني بفلانة او ان يسرق فلانا او غير ذلك، فهل هذا المصلي صادق في قوله وجهت وجهي للذي فطر السموات..؟ هل وجه وجهة لله أم للشيطان ؟ فهنا هذا الخبر كاذب.. الله سبحانه وتعالى هنا ايقول صدق وبرّ او كذب وفجر ؟! يقول كذب وفجر.. انما اذا كان فعلا قد انقطع الى الله في هذا التوجه فيقول سبحانه صدق وبرّ.. فاذن النسبة الخارجية عن الكلام ليس معناها خصوص المعنى الخارجي وانما يعنى النسبة التى تكون وراء الكلام.. والدال ايضا لا يشترط ان يكون لفظا الدال قد لا يكون لفظا، مثال ذلك من وقف في الصلاة بحيث ان من يراه في اتم الخشوع والحال انه في سوق الشهوات، يفكر في شهواته ونزواته.. لا تقل لي ان هذا هو الرياء، لان هذا لم يقصد الخلق، هذا الشخص لم يقصد ان يرائى الناس بهذه الوقفة

وانما هو منشغل بشهواته ونزواته، فحاله يدل على الخشوع لربه، انما واقعه ليس كذلك، فهذه الدلالة دلالة كاذبة، فاذن لذلك احتجنا الى التعميم وقلنا ان الصدق هو مطابقة الدّالّ للمدلول في النسبة، فان كان الدال يدل على ثبوت النسبة والمدلول قد ثبتت فيه النسبة فهذا هو الصدق.. وان كان الدال يدل على ثبوت النسبة ولكن المدلول لم تثبت فيه النسبة فهذا هو الكذب.. وكذلك بالعكس لو كان الدال على نفي النسبة ولكن المدلول قد ثبتت فيه النسبة، بغض النظر عن ان يكون المدلول معنى خارجيا او نفسيا او عقليا، وبغض النظر عن ان يكون الدالّ لفظيا او غير لفظي.. فالصدق والكذب هو مطابقة نسبة الدال مع نسبة المدلول، هذا هو معنى الصدق..

اذا جئنا الى الصدق فالصدق يكون في القول ويكون في النية ويكون في العزم ويكون في الوفاء وفي العمل وفي تحقيق الغايات من الدين، وكذلك الكذب يكون في القول، النية، العزم، الوفاء، وفي العمل وفي تحقيق غايات الدين، وأدنى الصدق ان يكون الانسان صادق القول في كل شيء حتى لو كان يوّرى او يأتي بالمعاريض لكنه لا يكذب، ينطبق عليه اسم الصدق. واكمل انواع الصدق في القول ان يتجنب المعاريض والتورية في غير ضرورة.

فاذا صدق مع الله سبحانه وتعالى في كل قول يقوله وتجنب المعاريض فهذا هو غاية صدق اللسان، وان لم يتجنب المعاريض يطلق عليه اسم الصادق ولكنه لم يبلغ اكمل الصدق.

وإما الصدق في النية بان يجعلها محضا خالصة لله سبحانه وتعالى، لا يشوبها شيء لان من صدق النية مع الله فقد اخلص العبادة له، فادخال الضمائم المنافية للتقرب من الله سبحانه وتعالى لا يجعل النية متمحضة ولا يجعل النية صادقة كل الصدق، يقال محض الحلاوة يعني ليس فيه شيء من المرورة، والمحض هو الخالص والنية الصادقة محضا اي الخالصة لله سبحانه وتعالى والانسان قد يصدق النية لان النية امر سهل ولكنه لا يعزم على ذلك، والعزم هو الجزم

»

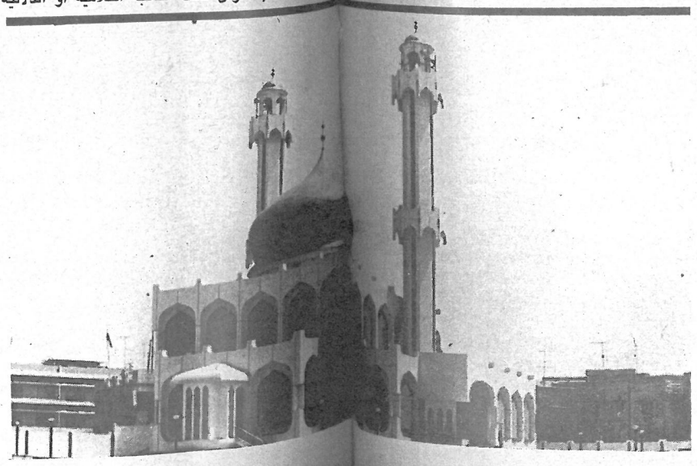

صدق الحديث وأداء الامانة هما مفتاح بيت الخير

أدّ الامانة الى البر والفاجر

(الامام الصادق)..

« القوي ينوي زيد على السفر فاذا جزم جزما قويا واخذ في تهيئة الاسباب قلنا عزم على السفر..

فلا يكفي ان يكون الانسان صادق النية مع الله سبحانه وتعالى ولكن يحتاج ان يكون صادق العزم، بحيث يعزم على تحقيق مُؤدىً تلك النية، فكم من انسان ينوي امرا ولكنه لا يقوى جزمه على فعله وعلى تحقيق مُؤداه، ولا يعزم على ذلك فحينئذ يكون صادق النية كاذب العزيمة.. ولا يكفي ايضا ان يكون صادق العزيمة حتى يكون صادق الوفاء فان العزيمة ايضا قد يستسهلها الانسان فيعزم بقوله لان رزقني الله مالا لأتصدقن به او بنصفه او بربعه، ولكن اذا تحققت الحقائق وحصل المال لا يفي، ولم يكن كاذبا عندما عزم، بل كان صادقا في ذلك الوقت، صادقا في نيته و في عزمه، انه متى ما رزقه الله الشيء الفلاني او اقدره الله من الشيء الفلاني ليفعلن كذا، وكان قوي العزم في هذا ولكن العزم اسهل من تحقيق الشيء والوفاء به، فاذا حقت الحقائق وتعارضت الشهوات لم يف بهذا العزم الذي صدق به، فهذا صار صادق النية صادق العزم كاذب الوفاء، وقد لا يكذب كلية، يكذب بعض الكذب مثلا ينوى ان يتصدق بنصف المال فيتصدق بربعه او بثلثه، فهذا لم يكذب كل الكذب ولم يصدق كل الصدق.

وما من عبد مؤمن تكون كل نيته سوءا مع الله وما من عبد مؤمن يكون كل قوله كذبا مع الله وما من عبد مؤمن يكون كل عزمه كذبا مع الله وما من عبد مؤمن يكون كله خائر الوفاء مع الله سبحانه وتعالى، لكل عبد نصيب من الصدق مع الله سبحانه وتعالى، ولكن هل يكفي ذلك ؟ نوى فصدق في نيته، ولم يشب نيته بشيء وعزم فصدق في عزمه وصدق في وفائه ولكنه لم يصدق في عمله، قصر في عمله ولم يأت به على وجهه الكامل، فهذا كذب في العمل فلابد ان يكون صادقا مع ربه في عمله، في جوارحه بان لا يكون عمله منافيا لعزمه او وفائه بعزمه حتى يتسق كل ذلك.. فاذا صدق في عمله فقد بلغ غاية كبيرة من الصدق، اذا صدق في نيته و في عزمه ووفي بما عزم وحقق العمل على وجهه من غير تقصير او فتور فقد صدق مع الله، والذي اعلى من هذا ان يكون همه في تحقيق الغايات الحقيقية للدين، من محبة الله وطلب رضى الله والتوكل على الله والاحتساب لله سبحانه وتعالى وهي مكارم الاخلاق التي

شرحناها في المحاضرات السابقة. هذه اعلى غايات الصادقين، يقول علي عليه السلام (ما امرتكم بشيء الا وسبقتكم في عمله. وما نهيتكم عن شيء الا وسبقتكم عن التناهي عنه).

اذن يجب ان يكون الانسان صادقا في سلوكه و في تحقيق الغايات الخلقية للدين، فاذا كان كذلك فقد بلغ الغاية العليا من الصدق مع الله سبحانه وتعالى، ولا شك ان الناس تتفاوت في ذلك تفاوتا كبيرا من درجة المعصومين الى عامة المسلمين.

فاذن على الانسان ان يجهد نفسه وان يجعل سلوكه دالا على الخير فالمثل الذي ذكرناه عمن يقف في صلاته وقلبه مشغول بالشهوات. من يمر عليه يراه خاشعا لا يتحرك له جفن ولكنه ليس مستغرقا في الصلاة، انه مستغرق في التفكير في شيء من أمور الدنيا، فظاهره يدل على الخشوع وباطنه يدل على الفسوق، طبعا هذا كاذب.. كذلك الذي يسير في الطريق تراه يسير بوقار وسكينة وهدوء ولكن باطنه ليس كذلك، فظاهر حاله يغاير باطن حاله فهو كاذب في سلوكه هذا.. يقول الصادق عليه السلام (كونوا دعاة للخير بغير السنتكم) يعني بسلوككم وهديكم ومثابرتكم على الطاعة.. ولاشك ان الدعوة لله بغير اللسان ابلغ من الدعوة لله باللسان، لانه عندئذ يكون قدوة وينطبق عليه دعاء نبينا ابراهيم عليه السلام (واجعلنا للمتقين اماما) فاذا صار قدوة صار اماما..

فلابد اذن للمؤمن ان يجاهد نفسه بان يكون صادقا مع ربه في كل هذه الامور..

واما أداء الامانة فعن الصادق عليه السلام في حديث طويل «انظر الى علي ومنزلته من رسول الله (ص) فالزمه.. فما وصل علي هذه المنزلة من رسول الله (ص) الا بالصدق واداء الامانة».. وعن الصادق عليه السلام (ادّ الامانة الى البر والفاجر) وعن علي عليه السلام (ادّ الامانة ولو الى قاتل ولد الانبياء (ص) لا يمنعك ان تؤدى اليه شيئا لانه فاسق او لانه فاجر او لانه كافر بل اداء الامانة وصدق الحديث وصدق المعاملة مطلوب من المؤمن مع البر والفاجر ومع المؤمن والكافر.

وقال الله سبحانه وتعالى وهو ابلغ القائلين: (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها) بغض النظر عن أهلها فان الاية من هذه الجهة مطلقة تماما، سواء كان اهل تلك الامانة من المؤمنين او من الكافرين ولذلك نجد ان النبي (ص) حرصا منه على هذا المبدأ عندما اراد ان يهاجر لم يأخذ معه علي عليه السلام وانما ابقاه في مكة لاداء الامانات التي كان الناس قد استودعوها عنده.. مع انهم في الحقيقة من المشركين.. فاذن صدق الحديث واداء الامانة هما مفتاح بيت الخير، كما ان الكذب هو مفتاح بيت الشر ومفتاح بيت الاثم، فعلى المؤمن ان يجاهد نفسه في الصدق وفي اداء الامانة بجميع مستويات تأدية الامانة، يؤدى امانة الله لله، ويؤدى أمانات الخلق للخلق، وان الله سبحانه وتعالى يقول (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان) فهذه الامانة التي عرضها الله على السموات والارض والجبال ما هي ؟ هي امانة الحكم ولكن الانسان حملها، انه كان ظلوما جهولا، ولو انه اداها الى أهلها القادرين عليها من بني الانسان لفاز، ولكنه ارادها لنفسه فهوى..

الصدق هو مطابقة النسبة الكلامية للنسبة الواقعية والكذب هو اختلاف النسبة الكلامية مع النسبة الواقعية